مظاهر ودلالات المذاهب الفكرية وأثرها في كيان الأمة الإسلامية

THE EMERGENCE OF SCHOOLS OF THOUGHT AND THEIR IMPACT ON MUSLIM UMMAH ENTITY

Muhammad Yosef Niteh[i], Maad Ahmad[ii] & Aminuddin Basir[iii]

[i] Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor. dryosefppt@gmail.com
[ii] Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor. maad@kuis.edu.my
[iii] Universiti Kebangsaan Malaysia. draminppu@ukm.edu.my

ملخص البحث

تدور فكرة هذا البحث بإعطاء نبذة عن مظاهر وممارسات لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية وهذا ليس على سبيل الحصر لكثرة هذه المظاهر وإنما للوقوف على هذه المظاهر ومعرفة نظرة الشريعة تجاهها، بعيدة عن الإحصاءات والأرقام، وأثرها على كيان الأمة الإسلامية، فللمذاهب الفكرية مظاهر ودلالات يمكن من خلالها الحكم على أن هذا السلوك وهذا الفكر ليس من خصائص الشريعة الإسلامية وإنما هي دخيلة دخلت على الأمة الإسلامية وأثرت على المسلمين مما أدى إلى حدوث خلل في أخلاقهم وتأثرت المفهوم الصحيح والسليم للشريعة الإسلامية. وقد انتهج الباحث في هذا البحث منهجين وهما الاستقرائي حيث تم استقراء آراء العلماء والفقهاء والمؤلفات ذات الصلة بهذا الموضوع مع الرجوع إلى الأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، والمنهج التحليلي من حيث الرجوع للمعاني اللغوية والاصطلاحية وتحليل آراء المفكرين والفقهاء. ومن أهم ما توصل إليه الباحث أن هذه المذاهب الفكرية تؤدي إلى خلل في العقيدة الصحيحة، وتفكك في الأسرة وأيضا المطالبة بالحرية المطلقة.

الكلمات المفتاحية: المظاهر، الممارسات، المذاهب الفكرية، كيان، الأمة الإسلامية.

Abstract

The purpose of this research is to give some backgounds to the profile appearances and practices that do not comply with Islamic law. This is not limited to the large number of these appearances, but also to stand on these appearances and to know the view of Islamic law on it overlooking the statistics and numbers and its impact upon the Islamic community as an entity. These ideologies have its aspects and connotations from which to judge that this behaviour and this thought is not one of the characteristics of Islamic law, but the influence and ideology that came along with the outsider who entered the Islamic nations and affect the Muslims. This has led to an imbalance in the morals and influence the right and proper understanding of Islamic law. In this research the researcher followed two approaches, firstly; inductive approach where they were to extrapolate the views of ulama' and scholars and literature related to the subject with reference to forensic evidence from the Quran and the Sunnah, and secondly; the analytical approach in terms of reference to the linguistic meanings and idiomatic and analyse the views of intellectuals and scholars.Among the prior outcomes of this research pointed out that these ideologies will defect in the absolute faith, disintegration of the family and claim for absolute freedom.

Keywords: *Behaviors, Acts, Ideologies, entity, Islamic nations*.

المقدمة

الفرق بين الحضارة الإسلامية وبين غيرها من الحضارات الأخرى، أن الحضارة الإسلامية عُنيت ببناء الفرد أولا بناءً شاملا، ثم بعد ذلك انتقلت إلى العمران المادي. كما أن حضارة الإسلام هي حضارة تقوم على الجانب الوجداني والقيم والأخلاق الشرعية، ومنها الجمال والسمو. أما الحضارات الأخرى فقد عُنيت بالتشييد المادي وإعمار الحياة في ميادينها المختلفة، لكنها تتجاهل بناء الفرد من داخله أي البناء الوجداني، بل وتعجز تماما عن القيام بهذا الدور الذي تفرد به الإسلام دين الفطرة. كما تقوم الحضارات المستحدثة الدخيلة على ثقافة العشوائية وليس لها جذور.

والدليل على ذلك في شكل الملابس والسلوكيات وطريقة الكلام، فالحضارة الإسلامية جاءت بالإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي أحيا الله به موات العرب، وكذلك جاءت بالتربية الإيمانية فهي وحدها سبيل التغيير والتحويل، فالباحث هنا سيقوم بإعطاء نبذة عن مظاهر وممارسات لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية وهذا ليس على سبيل الحصر لكثرة هذه المظاهر وإنما للوقوف عليها ومعرفة نظرة الشريعة تجاهها، بعيدة عن الإحصاءات والأرقام، فللمذاهب الفكرية الغربية مظاهر ودلالات يمكن من خلالها الحكم على أن هذا السلوك وهذا الفكر ليس من خصائص الشريعة الإسلامية.

ومن الأمثلة على ذلك الحرص على ارتداء الملابس شبه العارية وفق ماركات يهودية غربية عالمية ويتفاخرون أمام بعضهم البعض، والاختلاط بين المراهقين والمراهقات والأكلات والوجبات السريعة، فأصبح هذا الجيل بعيد البعد عن العادات والتقاليد المعروفة عند الإسلام بل وأصبحوا يستحون من الحشمة، هذه العادات والتقاليد الدخيلة أثرت على الشباب بشكل سلبي فأصبحوا كذلك ينفرون من كل شيء فيه أدب وخلق، بعيدون عن الدعوة التي تدعو إلى حياة مستقرة وهناء وسعادة في الدنيا والآخرة، بل لقد اختاروا العكس بفضل تأثرهم بتلك الأفكار الغربية.

إن وسائل الأعلام تواصل من إمداد أفكارها المتواصلة لتأثر في عقول المسلمين بإرسال برامج متعددة تهدف بشكل مباشر أوغير مباشر عقول وأفكار الشباب في المجتمع الإسلامي لتجرهم معاً نحوالتأثر والتبني لأفكار ومخططات لهدم أخلاق وسلوك المجتمع المسلم، وقام الباحث باستقراء تام لأقوال وشواهد من المفكرين الغربيين أنفسهم للتحقق من ذلك، فعادات أمثال الزنا وشرب الخمر والربا والميسر كل ذلك ليست من خصائص الشريعة الإسلامية تحدث بسبب الابتعاد عن الدين الإسلامي وعدم اتباع الشريعة الإسلامية التي أمر الله بها لضمان حياة مستقرة ومطمئنة والحصول على رضا الله عز وجل والفوز بالجنة والنجاة من النار.

مظاهر تتعلق بالعقيدة والشريعة الإسلامية

فمن مظاهر المذاهب الفكرية الضعف في العقيدة وفي التمسك بها، يقول وزير الخارجية البريطانية سابقاً كرزون "لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين هما الإسلام والخلافة" (ديوارنت. دول، 1957). مما لا شك فيه أن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام من أهم القضايا التي يجب على المسلم أن يضع في حسابه ويؤمن بها، قال الله تعالى في سورة المائدة 55: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ). وقال تعالى في سورة التوبة 71: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

وقال تعالى في سورة آل عمران 28: (لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ).

فالانحرفات في التصرفات وفي السلوكيات المنتشرة في الأفراد والأسر المسلمة ناتجة عن ضعف في العقيدة والانحراف في التصور العقدي، حيث يعتقدون أن العقيدة هي اعتقاد في القلب دون عمل الجوارح لذلك حدث انفصام بين العقيدة والتصرفات والسلوك، ونتيجة لذلك من العادي جداً أن الفرد يصلي ويصوم ويحج، وهو في نفس الوقت لا يهتم كثيراً بالديون الذي عليه من أصدقاءه ويماطل كثيراً في أداءه، وأيضا نجده أحياناً يحلف كذباً ويغش في بيعه وشرائه ويحتال في معاملاته، ويأكل الربا وبعد كل ذلك مرتاح الضمير هادئ المزاج وأيضا يقوم إلى الصلاة في وقتها ويلقي محاضرات دينية ولكنه في نفس الوقت غير أمين في عمله وتجاه مديره أومقر عمله، وأيضا أصبح من المألوف أن شخص يداوم ويحافظ على الصلوات ولكنه أحياناً نجده يستهزأ بالدين ويسخر منه وقد اتفق أهل العلم والفقهاء على أن من يستهزأ بالدين أو بالإسلام فهو مرتد وخارج عن الإسلام.

ومثل ذلك انتشار البدع والخرافات والسحر، فالسحرة والمنجمون أصبحوا مكان لطلب الاستعانة، فإنه لا يطلب العون من الله سبحانه وتعالى بل يذهب إلى الساحر وقد نسي أن هذا الأمر شرك وكفر بالله ومخرج عن الملة وعندما يُقال له لا ينبغي هذا فإنه يرد ويقول هذا يعد من المحاولات لا بأس فيه، وغيرهم هناك من يطلب الشفاعة من الأموات والتشاؤم وانتشار الفواحش، فكل ذلك يحدث بسبب ضعف في العقيدة وعدم التمسك بها، يقول المبشر وليم جيفورد بالكراف "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه" (بيكركارل، 1948).

ويقول محرر جريدة كيزيل أوزباخستاني 1952 "من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائياً" (جلال عالم، 2009)، إن الحاكم المتأثر بالفكر العلماني أو الليبرالي لا يجد أي شيء مما يلزمه إلى الرجوع بحكم الدين في أية قضية تواجهه. وذلك إما لجهله بالدين وعدم معرفته به، أو للعداء الشديد بين الدين وبين آراء المفكرين العلمانيين الذين يتصورون أنه لا تتم السعادة الحقيقية للشعوب إلا إذا أخرج الدين

تماماً عنهم وحكموا أنفسهم بأنفسهم بعيدين عن التأثر بأحكام الدين التي تحابي وتمالئ الظالمين من أصحاب المناصب والجاه (غالب عواجي، 2007).

ذكر الكاتب يانوس ستافر في كتابه "التصدع العالمي" أن المبشر تاكلي يقول أثناء المقابلة معه "يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً" (يانوس. ستافر، 2000). ونادت أصحاب المذاهب الفكرية وادعوا بأن من يطبق الشريعة الإسلامية يعتبر متأخرا وذو فكر جامد وأن من يبتعد عن الشريعة الإسلامية هو في ذلك متقدم ومتطور وينطبق ذلك على الدول أيضا (فكتور مارسدن، 2012). وقد وقعت فئة من المسلمين وصدقوا ذلك الادعاء وعملوا به، ونسوا قول الله تعالى في سورة المائدة 3: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

وليعلم أولئك الذين صرفوا أبصارهم عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أن في قتل القاتل حياة لبقية الناس، وفي قطع يد السارق أمان وتأمين لأموال الناس لتكون محفوظة لأصحابها من غير خوف أو اعتداء، وأن في تحريم الربا والغش إنما هو فخر للإسلام، وأن الإسلام عندما قال بتحريم الخمر إنما لأجل أن يحفظ عقول الناس، وفي رجم الزاني المحصن إنما لأجل حفظ الأعراض وصيانة للأنساب والابتعاد من الأمراض وضمان الصحة، هذا هو منهج الشريعة الإسلامية لا تريد إلا الخير والسعادة الذي يريده الكثير من الناس ولكنهم يرفضون الحكم بالشريعة الإسلامية. والواقع الذي يفرض نفسه الآن عكس ذلك فالزنا منتشر بشكل كبير والربا منتشر بشكل واسع والخمور يباع في معظم المحلات والأسواق من السهولة جداً الحصول عليه، وجرائم السرقة منتشرة بشكل واسع ومخيف والعاهرات موجودة في الشواع في الليل أو النهار، وكل هذه الجرائم تحدث بصورة متكررة لعدم وجود عقوبات مناسبة التي تمنع أي شخص من ارتكاب هذه الجرائم.

فلا يتوفر في القرآن الكريم والأحاديث النبوية أي دليل أو نص يؤيد ويثبت التفرقة بين الدين والسياسة أو الحكم، وأيضا لا في أقوال وآراء العلماء المجتهدين والمفسرين، بل أنه لا شرعية لحاكم لا يتخذ الدين الإسلامي منهجاً له، ولم يذكر لأحد من الخلفاء الراشدين أن حكموا لقضية ما بغير ما أنزله الله تعالى، بل كانوا يعتبرون أن حكم بغير ما أنزله الله تعالى يعتبر حكماً جاهلياً. واستمر التابعون وتابع التابعين على ذلك الحال أن حال الانهيار وسقوط الدولة الإسلامية وبدأ الاستعمار الصليبي الغربي للبلاد الإسلامية وتجزأتها إلى دويلات صغيرة (علي عبد الحليم، 2005).

ذكر جلال عالم في كتابه "قادة الغرب" أن الحاكم الفرنسي في الجزائر قد أوصى الجميع بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها حيث قال "يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم

حتى ننتصر عليهم" (جلال عالم، 2009). لقد هاجت ونادت الغرب بأن تطبيق الشريعة الإسلامية هو التأخر والرجعية والجمود، وأن في رفضها التقدم والتطور، فنشأت المتبعون والمقلدون لألئك الناس، وقام الغرب بإعطائهم الألقاب الهياجة والعبارات الجميلة ليتموا استعبادهم لهم من جهة وليستجلبوا بهم غيرهم ممن لم يقع تحث تأثيرهم (بستان الدين أجوس، 2011).

مظاهر تتعلق بفساد الأخلاق والسلوك

يقول عبد الله التل أن المبشر صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير أثناء مؤتمر القدس للمبشرين عام 1935م حيث قال "إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام، إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشأ الإسلامي مطابقاً لما أراده له الإستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة، والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه" (عبدالله التل، 2008).

لقد تسببت تلك التيارات المذهبية الغربية خراب أعزّ ما يجب الحفاظ عليه وهو القيم والأخلاق، وعرفنا أن بهذه القيم فرّق الشريعة الإسلامية بين الإنسان والحيوان، حتى كانت الأمة الإسلامية منذ فترة من العصور نموذجاً للأخلاق والقيم الجميلة والصالحة، إلى أن جاءت هذه الأفكار تحمل أسلحتها وتسلخت في عروق الأمة مما أدى إلى تغير في فطرتهم السليمة وفسدت وسقطوا في الفخ، واستعانوا بالضلال حتى قالوا بأن الفضيلة عارٌ وتأخر، ورأوا أن الثياب زينة للإنسان والفجور هي التطور إلى أن وصلوا إلى الحالة يُثنى لها، قال تعالى في سورة الأعراف 179: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

تحدث محمد قطب في كتابه "واقعنا المعاصر" أن صموئيل زويمر وهو مبشر مسيحي قال "إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتَيْن، مزية هدم، ومزية بناء، وأما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد، وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه". من الواضح جداً فكما ذكر الباحث أن هؤلاء المفكرين الغربيين والمبشرين يعرفون تمام المعرفة أن الأخلاق إذا انعدمت والقيم إذا حطّت وفسدت فإنها من المتحتم تفرق الروابط الاجتماعية والأسرية وبذلك تنتشر الفواحش والرذيلة مما يؤدي

إلى سرعان انحطاط المجتمع، ومن ثم الأمم بسبب انتشار الفساد والغش والكذب والعداوة والبغضاء بين الناس وعدم الثقة بين المسلمين بعضهم ببعض وانعدام الأمانة وانتشار الفجور والدعارات وغيرها (محمد قطب، 2000). قال الشاعر أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لقد سلك هؤلاء المبشرين والمفكرين الغربيين عدة مسالك لهدم المجتمع الإسلامي وللإطاحة بهم، ومن أهم هذه الطرق أو السبل لتفتيت الإسلام والمسلمين استخدامهم لسلاح النساء ومن أهم ما عملوا فقد لخصها الباحث في الأمور الآتية استخدامهم للفاجرات والعاهرات لإغراء الشباب ومن ثم جرّهم شيئاً فشيئاً إلى أن يتيهوا في طريق الضلال، وفي نفس الوقت هم يدّعون بأنهم يحاربون فساد الاتجار بالبشر، وهم في نفس الوقت يكسبون الملايين (جلال عالم، 2009). دعاياتهم الباطلة للفتيات بركب التطور وترك الاحتشام وذلك باصدار ملابس جديدة والأزياء الفاجرة ويتلاعبون بأفكار الفتيات بأن هذا هو التطور وأن الاحتشام هو الجمود ويغرون الفتيات ويدعون أن ذلك سوف يعجب الكثير من الرجال بسبب الموضة الجديدة ويقدمون أيضا المزيد من أنواع الأدوات التجميلية التبرجية وهم يكسبون الملايين من جراء ذلك.

ذكر الكاتب شاتليه في كتابه "الغارة" نقلا عن المبشر تكلي "يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية" (شاتليه، 2009) ذهب الغرب إلى تخريج الفتاة المسلمة من دراستها وفق المنهج الذي رسمه هم وهو السعي إلى إخراج المرأة المسلمة عن عقيدتها السليمة إلى عقيدتهم الباطلة وليس وفق المنهج التعليمي الإسلامي، أي بعيد عن التعليم الذي ينفعها في دينها ودنياها، جعل المرأة المسلمة لتهتم كثيرا في مجال الفنون والأزياء والزينات والفساتين الجميلة وكيفية الذهاب لإغراء الرجال (غالب عواجي، 2007).

إن هذا التشبه الذي نراه الآن منتشر بين أبناء المسلمين فإنه لا يدل إلا على فقدان الذاتية الإسلامية والانصهار في بوتقة الكفار اليهود خاصة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال فمن؟، قال الله تعالى في سورة آل عمران ﷻ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْكَانُوا غُزًّى لَّوْكَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل حديث رقم ﷻ،).

ذكر في كتاب "تيسير الرحمن" للعلامة عبدالرحمن أن الله تعالى ينهى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكفار الذين لا يؤمنون بربهم ولا بقضاءه وقدره من المنافقين والكفار.

ويذكر الكاتب شاتليه في كتابه "الغارة" حيث ينقل مقاله المبشر زويمر أيضا "ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشيء لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب" (شاتليه، 2009). لم يكن هدف الاستعمار التبشيري أو التبشير الاستعماري من وراء هذه المؤسسات والأساليب إدخال المسلمين في الديانة النصرانية، فقد وجدوا في ذلك صعوبة بالغة أشبه إلى المستحيل، ولكن كان أكبر همهم هو زحزحة المسلمين عن الإسلام والاعتداد به، والتكتل تحت لوائه، وذلك بزرع التشكيك الخفي في صلاحية الإسلام لقيادة الحياة المعاصرة، وتنظيم المجتمع المتحضر وتوجيه الدولة الحديثة، وبتشويه صورة الإسلام في شريعته وحضارته وتاريخه، في أعين الناشئين، وعزلهم عن الثقافة الإسلامية الأصيلة، مع إبراز وجه الحضارة الغربية جذاباً خالياً من كل العيوب وكاملاً تاماً (محمد قطب، 2002).

لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة، كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني (مارسدن، 2012).

ومن مظاهر المذاهب الفكرية في مجال التعليم، التفريق بين التعليم الديني والشهادات، حيث ظهر حديثاً هذا التفريق من حيث قيمة الشهادات وأماكن الدراسة وكذلك رواتب المعلمين والمحاضرين ووسائل التعليم وأيضا من ناحية قبول الشهادات، وكان كل شيء يبدو بذل الدراسة الدينية وطلابها بينما نجد أن الدراسة الحديثة يدل على الرقي والترفع والتقدير، ولم يحدث هذا الشيء بالمصادفة بل كان وراء ذلك تخطيط مدروسة، فطلاب الدراسات الحديثة منعمون بكل التسهيلات والمنح الدراسية والابتعاث إلى خارج البلد ويحصلون على مميزات كبيرة ولديهم مميزات خاصة من الحكومة وأكثرهم يبتعثون إلى أوروبا، واستساغ الكثير بتذوق كل ما هو غربي حتى في الحركات واللبس والمشي والأكل وغير ذلك حيث اتجهوا إلى التقليد والمحاكاة بفعل الدعايات المؤثرة والمبالغة فيها وقد أدى ذلك إلى أن كثيرا من الناس قد نظروا إلى الماضي بعين الاحتقار بسبب تلك المدارس التي جاء بها الغرب في كل ناحية من بلدان المسلمين لتعليم وترويج أفكارهم (غالب عواجي، 2007).

فقد نُظر إلى تلك المدار الحديثية على أنها هي المستقبل الباهر الذي سيقدم لأبناءهم حين تخرجهم منها، وقد أصبح هناك فرق حتى في رواتب المدرسين والمعلمين فالمعلم الذي يدرس في المدارس الدينية يحصل على راتب أقل بأضعاف مما يحصله المعلم أو المدرس الذي يعمل في المدارس الحديثة.

وكانت الدول المستعمرة التي استعمرت البلدان الإسلامية كالإنجلترا مثلاً وغيرها من الدول الغربية كانت تلقي بكل ثقلها لمحاربة الإسلام والقضاء على شريعته وأحكامه وحضارته، وتجريدها من أهلها أي

المسلمين، وقد ابتُلِيَ المسلمون بذلك، وأصبح أولئك الذين تأثروا بالغرب أمة ممسوخة، فلا هم بقوا على إسلامهم ولاهم دخلوا في أعماق التقدم الغربي، ولكنهم في الحقيقة وصلوا إلى الغاية الخاطئة وهي الإباحية الحيوانية الغربية بكل مساوئها وقضوا على كل ما عندهم من السلوك الخاطئ اللاأخلاقي في الحب والغرام والتقليد الأعمى.

فالإسلام جاء كاملاً تاماً دون نقص وركز كثيراً من الناحية الأخلاقية ومكارمها، ونقد وحذر من كل ما يسيء الأخلاق وكل سلوك رديء، وكان المسلمون السابقون في يوم من الأيام في أزهى عصورهم وهم يمثلون المثل الأعلى في الأخلاق الفاضلة، إلى أن خلفت خلوف زاغوا عن ذلك النهج الواضح والطريق السليم واتجهوا إلى الطريق الضال شيئاً فشيئاً وسقطوا في الهاوية وذلك باتباع الهوى والانحرافات والأفكار الضالة وكلما أحدثوا انحرافاً جعلوا له واجهة إسلامية ليقاوموا كل من يحاول أن يثنيهم عن أهدافهم المنحرفة للوصول إلى تطبيق الأخلاق الليبرالية أوالعلمانية بشكل كامل وتام.

ومما زاد الأمر سوءاً أن الكثير من المسلمين في هذه الأيام يطلعون على أن الحضارة أو السلوكيات الغربية هي التقدم الفعلي فانغمسوا فيها ونسوا هؤلاء أنهم يملكون الحضارة والتقدم الحقيقية ونسوا أيضا أنهم يملكون الفضائل الحقيقية التي دعا إليها الإسلام، فإذا بهؤلاء المسلمين يواجهون أولئك الغربيين برؤوس منكسرة وذل فاضح وكأنهم يواجهون عباقرة ينبغي أن تنحني لهم الجباه ونسوا حضارتهم الإسلامية العريقة التي رفعت رؤوس العديد من علماء المسلمين في وقت من الأوقات، وتركوا بذلك فرصة للغربيين بأن يصرخوا في وجوههم بأن تأخرهم إنما يكمن أو بسبب تمسكهم بالإسلام وشريعته وسلوكه ووصفوا الإسلام بالجمود الفكري الذي حجر على المسلمين الانطلاق إلى كل الاتجاهات، منها المتع والملذات بكل أشكالها المختلفة بصرف النظر عما إذا كان حرام أم حلال، وهؤلاء المجرمين يبذلون كل الجهد خاصة في السيطرة على عقول النساء والاستحواذ على عقلها ليخرجونها من عفتها وحشمتها مكرهين إليها بيت الزوجية وتربية الأولاد بحجة أنها لا بد أن تواكب التطور وتكون مثقفة مع أن هذه الدعوة معناها أن تكون شبيهة بالبهيمة وهو بذلك عين التأخر والرجوع إلى البدائية في الحقيقة.

وأثروا على عقول النساء المسلمات حتى تركن الحجاب والبعض منهن حتى لا تعرف بأن الحجاب واجب في الشريعة الإسلامية، وبذلك فقد نزعت ثياب الحشمة، فإذا بها تظن أن العري في إظهار نصف الفخذين والكتفين ونزع غطاء الرأس ومشاركة الرجل جنباً إلى جنب وتقليده في حلق الشعر والملابس الضيقة وغير ذلك إذا بها ترى أن كل هذا السلوك هو اللائق والمناسب.

وأصبح هذا السلوك الغريب والفاحش هو التقدم بعينه وظن الكثير من الناس أن هذا السلوك هو رمز الحضارة والتقدم ويسمونه مواكبة العصر الذي لا بد منه، وهذا المقياس هو المقياس الصحيح، وأصبحوا يمدحون المرأة ذات اللبس الضيق والمرأة الشبه العارية وفي نفس الوقت يذمون المرأة ذات المحتشمة التي تغطي

معظم جمسمها وينظرون إليها بنظرة احتقار، فقد أجاد أولئك المجرمون في خداع المرأة المسلمة وتفتينها في إغراءها فانجذبت إليهم الكثيرات من نساء المسلمات (محمد قطب، 2002).

أيضا أدى ذلك إلى ظهور فئة ليست قليلة من الفتيات والنساء الحائرات في الوسط ما بين ذاك وبين هذا لا يدرين أين يتجهن، وقليل منهن أدركن مذا يُراد لهن ومدى خطر التخطيط المبيت وراء التزلف إليهن ومطالبتهن بالخروج على كل شيء فكتبن يحذرن بنات جنسهن من شر تلك المزالق الوخيمة وأن المقصود بها في النهاية أن تكون المرأة متعة رخيصة بيد الرجل لمن عليهن مسحة من ملاحة فقط (محمد قطب، 2002). كل هذا يحدث على عكس الفطرة السليمة، فمن الفطرة للمرأة مثلاً أنها لا بد أن تكون مطلوبة للرجل لا أن تكون طالبة للرجل، ولكن بسبب التيارات الفكرية الهدامة الذي دعا المرأة إلى التحرر اضطرت هي هنا بالبحث عن الرجل ومن ثم المغازلة واسترضائه وهذا عكس ما علمته لنا الشريعة الإسلامية منذ القدم إلى الآن.

فالمرأة في هذه الأيام وكأنها ستصبح مثل الدابة التي تقوم بكفالة أولادها الغير الشرعيين، حيث ستقوم بتحمل كل التكاليف والأتعاب لوحدها وتعاني آلام ومتاعب الحمل واللادة وطلب المعيشة وتربية أطفالها وإن لم تسطيع تحمل كل ذلك فإنها ستصبح قاتلة عندما تتخذ قراراً برمي المولود وقذفه في أماكن مختلفة وعندما يقبض عليها يحكم عليها فقط (مصطفى السباعي، 1998).

وعندما ينعدم الوازع الديني ويصل إلى درجة الضعف في النفوس تصبح مفتوحة لاستقبال ما يوسوس إليها وساوس الشيطان من الجن والإنس، وتنغمس هذه النفوس إلى قاع الهوى واتباع الشهوات، وتنتشر أفعال المنكرات وخاصة إذا كان البيئة التي يعيش فيها الناس لا يستنكرها أحد، بل يحدث العكس حيث يحثون على فعل ذلك ويمهد لها بشتى الوسائل والأساليب، وهنا يأتي دور العقاب الذي يهابه معظم الناس وأن العقاب يوقف الكثير من الناس من ارتكاب المخالفات الشائعة، حيث أثبتت التجارب والأبحاث أن أنواع العقوبات الشرعية وموافقتها لنوعية الجرائم المحددة لها، لها أهمية بالغة في حصول الأثر النفسي الذي عادة يرد عن ارتكاب الجرائم، وأن الشريعة الإسلامية في تحديدها لنوعية العقوبة تحرص كل الحرص على حماية وصيانة الأخلاق، بل يصدر عن هذا الحرص أساساً حين تقريرها، وهذا أساس الخلاف في النظر إلى الجريمة وتصورها بين الإسلام وبين القوانين الوضعية جمعاء (فتحي يكن، 1995).

وبعد أن جاءت التيارات الفكرية الهدامة ونتجت عن تلك الهجوم الشرس أن أُستُبدلت القوانين الوضعية لتحل محل القوانين الشرعية، وتعطلت الحدود وأحكامه عن التطبيق في البلاد الإسلامية، انتشرت الكثير من الجرائم الأخلاقية التي من شأنها تدمير للأسرة المسلمة بل دمار للمجتمع الإسلامي، فهذه الجرائم السلوكية الأخلاقية تسابقت لإحداثها جميع أساليب وطرق الغزوالفكري، إلا أن بسبب غياب تطبيق الحدود الشرعية الإسلامية الرادعة هو الذي ساعد على انتشارها واتساق نطاقها وجريانها في الأسرة والمجتمع بشكل متواصل ودائم (أحمد السايح، 2010).

أثر المذاهب الفكرية على كيان الأمة الإسلامية

أولاً: أثر المذاهب الفكرية في الأسرة المسلمة

قضية الفوارق بين الرجل والمرأة ليست مسألة تتعلق بالأمور الجسمانية أو الهيكل الفيزيائي لكلا الطرفين، فأصحاب الفكرة التي تدعوا إلى أن الفوارق بين الرجل والمرأة فقط من الناحية الجسمانية أي الحمل والولادة والدورة الشهرية والأعضاء التناسلية هذه الأشياء هي التي تفرق بين الرجل والمرأة أما من الناحية الأخرى من الحقوق فكما يكون للرجل تكون للمرأة في نفس الوقت، فإذا كان للرجل نصيبان في الوراثة فلها كذلك، والرجل يخرج من البيت بغير إذن فلها كذلك والرجل لا يغطي شعره فلها مثل ذلك وهكذا (بستان الدين أجوس، 2011).

إن الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية لا تنكر أبداً أي فوارق أو فروقات بين الناس سواء بين الرجل والمرأة لأنها ترى أنها أمر واقعي جداً، ولكن الشريعة الإسلامية في الحقيقة تقوم بتنظيم وترتيب هذه الفوارق لتتوافق وتنسجم مع الفطرة السليمة والواقعية وهي بعيدة جداً عن الكبرياء والعصبيات، لأن الأساس لجميع الناس على هذه الكون هو التساوي في الأصل والمنشاء (غالب عواجي، 2007)، حيث قال الله تعالى في سورة النساء 1: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).

فالإسلام يعترف تماماً بوجود الفروقات بين الناس وهذه الفوارق تكمن في نواح عديدة منها كالفرق بين هذا وذاك من الناحية المالية، فهذا أغنى من هذا، وهناك فرق أيضا من ناحية القوة فهذا قوي وهذا ضعيف، وهذا ذكي وهذا بليد أو غبي، ولكن الإسلام في نفس الوقت ينكر تماماً أن تكون هذه الفوارق مصدرا بين الناس في التفرقة بينهم ويكون مصدر للاستعلاء مع بعضهم البعض، لأن هذه الفروقات جاءت وحدثت بسبب قدر الله وهي أمور ملموسة ليس لأي شخص التدخل فيها، وقد جعل الله كل البشر والآدميين يفتقرون إليها ثم قدّرها وفق إرادته وحكته (محمد قطب، 1997).

وبهذا هناك خصوصيات متفاوتة بين الناس وقد جعل الله سبحانه وتعالى خصوصيات خاصة للرجل وهناك جعل خصوصيات خاصة للمرأة لا نستطيع نحن أو أي أحد أن يغيرها لأنها شريعة من الله عز وجل ومثال ذلك فخصوصية القوامة جعلها عز وجل للرجل وليست للمرأة وأيضا حق الانتساب أي نسب الأولاد يكون للأب وليس بل ولا يصح أن تنسب الولد للأم أو الزوجة، وفي نفس الوقت فإن حق الحضانة والعطف والحنان تكون للأم أو الزوجة.

أما الميراث فقد خصت الشريعة الإسلامية للرجل نصيبين اثنين وهذه في الظاهر غير متساوية مع المرأة حيث أن نصيبها مختلف منه، وهذه الأمور لا نستطيع أن نقول بأن الشريعة الإسلامية قد سلبت حق المرأة فالحقيقة أن نصيب المراة في الميراث ليست دائما الأقل، فقد ساوت الشريعة الإسلامية نصيب الأب والأم من ولدهما المتوفى، وأعطت أيضا الشريعة الإسلامية نصيب البنت أضعاف نصيب الرجل حيث قال الله تعالى في

سورة النساء 11: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْدَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا).

أما مسألة ما كان للرجل نصيبان فذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى له لما له من أعباء النفقة التي كلف الله عليه وليست على المرأة أو الزوجة، فحق الأكل والملبس والملجأ أو المنزل واجب على الرجل وليست على المرأة (غالب عواجي، 2007).

هناك نقاط وأمور وأسباب يستحيل المساواة بين الرجل والمراة ومن هذه الأمور هي (ياسمسن جمال، 2012).

i. من المستحيل أبداً التساوي بين الناس في كل الأمور، فمثلاً لا يمكن المساواة بين المجد والكسول.
ii. الداعون إلى التساوي بين الرجل والمرأة لم ينظروا جيداً إلى عواقب ذلك ولا يدركون أن الفطرة التي فطرها الله على الناس لا يمكن المساواة.
iii. لا يمكن أبداً أن نساوي بين الرجل والمرأة في كل النواحي فحمل السلاح وخوض المعارك يكون للرجل أما الحمل والولادة والحضانة تكون للمرأة.
iv. المساواة بين الرجل والمرأة سوف تؤدي إلى إلغاء حق وجوب النفقة على الزوج للزوجة بل سوف يكون له حق في مال زوجته.
v. إن حق المساواة بين الرجل والمرأة تجعل المرأة تخرج من البيت للبحث عن العمل حتى من غير إذن زوجها فليس لها وقت للبيت وللأولاد.
vi. المساواة بين الرجل والمرأة تؤدي إلى وجوب تجنيد المرأة في الجيش.

هذه هي التخبط والعشوائية الذي يعيشه أولئك أصحاب الأفكار المذهبية الضالة الخارجون عن المنهج السليم للشريعة الإسلامية ومدى الإفراط والتفريط حيث لم يوفقوا إلى السلوك والأخلاق الوسطية التي أرادها الله سبحانه وتعالى للبشرية لكي تسير الحياة وفق منهج سليم خالي من الآفات والأمراض (بشير البشير، 2004).

ذكر شاتليه نقلا عن آن ميليغان حيث قالت "لقد استطعنا أن نجمع صفوف كلية البنات في القاهرة، بنات آباؤهن باشوات وبكوات، ولا يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وبالتالي ليس هناك طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه الممارسة " (شاتليه، 2009)، مما لاشك فيه أن مسألة تحرير المرأة تعنبر من المسائل والقضايا العالمية التي أثيرت في جميع النواحي والمستويات وأدت ذلك إلى ظهور الكثير من المشكلات المستعصية، فهذه القضية نمت بشكل سريع في البلاد الإسلامية بسبب الانحراف عن منهج الله والجهل بالتعاليم الإسلامية واتباع الهوى والشهوات، (سفر الحوالي، 2011)

حيث قال الله تعالى في سورة النساء 27: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا).

عندما اتصل المسلمون بالحياة الغربية وخالطوا الكفار فوجدوا المرأة هناك سافرة ومتبرجة ومبتذلة ومتحررة من قوامة الرجل فهي تشارك الرجل في كل شيء في العمل والإنتاج وتزاحمه في مجالات الحياة العامة، فحينما رأى هؤلاء المرأة الغربية بهذا المظهر وكانوا في نفس الوقت على حظ هزيل وضعيف من فهم الإسلام وموقفه من المرأن حين رأوا ذلك انبهروا به ومن ثم مقتوا المرأة الشرقية ومقتوا من ورائها الإسلام (سفر الحوالي، 2011). ونسي هؤلاء أن الإسلام بريء من الوضع المؤلم الذي يعانيه المرأة الشرقية المسلمة، ونسوا أيضا أن الإسلام هو الذي حرّر المرأة وينادي بتحريرها وتكريمها وتهذيبها ويلقي عليها مسؤوليات لا يستطيع الرجال القيام بالكثير منها، لقد ألقوا اللوم على الإسلام على ما عليه المرأة في البلاد الإسلامية من جهل وضعف وسلبية وجاء هؤلاء المنهزمون يطالبون بتحرير المرأة لا بالإسلام، بل طالبوا بترك الإسلام وعلى نمط الحياة الغربية الكافرة وعلى الأسلوب الذي تعيشه المرأة الغربية ونسوا دينهم وتراثهم وأخلاقهم ونسوا أيضا أن كرامة المرأة بدينها بالإسلام الذي أكرمها وعلمها وحفظها من السقوط والرذيلة مما وقعت فيه المرأة الغربية الكافرة (مالك بن نبي، 2002).

وبعد أن تأثر أولئك بالأفكار الغربية ثم بدافع التقليد الأعمى نادى أولئك المنهزمون وأصحاب الأهواء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وذوي المصالح الشخصية بدأوا في كل أنحاء العالم الإسلامي ينادون بحرية المرأة وتحريرها، ونادوا بالسفور ونزع الحجاب والحشمة ومقت الحياء، والاختلاط بالرجال والسعي خلف تاموضات الفاتنة والتشجيع على العري والملابس المثيرة والتسابق على جذب الرجال (سفر الحوالي، 2011). ثم شجعوا المرأة على الخروج من البيت وترك الأسرة بلا ضوابط، والأولاد منتشرون في الملاعب والشواطئ والأسواق، وقاموا بترويج هذا الفكر باسم التطور والإصلاح.

ثانياً: حركات التشكيك، والصراع بين القديم والجديد

ويذكر شاتليه صاحب كتاب "الغارة" أن المبشر تاكلي يقول "يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً" (شاتليه، 2009). لقد قام أصحاب المذاهب الفكرية من المبشرين وبمساعدة من الأدباء والمفكرون والمثقفون والقادة من أبناء المسلمين الذيم انبهروا وأعجبوا بالغرب الكافر وهم الذين تشربت نفوسهم في حب الحضارة الغربية وأصابهم ذلك الانبهار الذي ملك عليهم عواطفهم وتفكيرهم حتى نسوا تاريخهم ودينهم وأمتهم وتراثهم، قام هؤلاء المنهزمون بحركة تشكيك عامة، وإثارة الشبهات حول كل ما يتصل بالإسلام في الواقع والحاضر والماضي، كل منهم على اختصاصه وبقدر جهده كل منهم على ثغرة من الثغور وشعبة من شعب الضلالة والانحراف (علي جريشة، 1990).

ومن جراء الاندماج بالكفار والتأثر بهم وتقليدهم ظهرت بين المسلمين الدعوة إلى التغريب وتغيير الحياة الإسلامية في كل شيء وذلك تحت اسم التجديد والتحرر والتقدم والتحضر والتمدن وكل هذا يحدث دون وعي ولا تبصر حيث شملت موجة التجديد العقيدة والدين والتراث والتاريخ ومن هنا بدأ الصراع بين القديم والجديد واستغلته القوى المعادية للإسلام (مالك بن نبي، 2002).

وقد قام الكثير من المفكرين المسلمين والعلماء الغيوريين على الإسلام المخلصين –الذين لديهم دافع الغيرة على التقاليد المألوفة والحياة المعتادة من قبل فريق آخر وبدافع الخوف على المصالح الشخصية من قبل البعض منهم– بالدعوة إلى المحافظة على القديم بما فيه من دين وأخلاق وعادات وتقاليد كل بحسب غايته وهدفه وفهمه وإدراكه، ونتج عن هذا صراع شديد صارم في المفهوم الجاهلي السائد وهو صراع بين القديم والجديد، وهذا الإطلاق له إيحاءات خطيرة، إنهم أولئك الذين تربوا في أحضان الغرب أوالذين رأوا مظاهر الحياة الغربية فانبهروا بها وكانوا على حظ هزيل من فهم الإسلام، وأصحاب الأهواء والشهوات والذين يحبون أن تشيع الفاحشة والذين نهلوا من مناهل الثقافة الغربية، ومن نتائج الصراع بين القديم والجديد أن حمّل المنهزمون الإسلام تبعة هذا الصراع فأطلقوا اسم القديم على كل ما يمت إلى الإسلام بصلة فأطلقوا عليه وعلى الدعوة إليه وعلى دعاته المخلصين بالرجعية والتزمت والجمود والتحجر، وأصبح المقصود بالجديد هوكل طارئ منقول من الغرب وأطلقت عليه وعلى دعاته التجديد والتنور والتحرر والتقدم (مصطفى باحو، 2012).

وبذلك انقسم الناس بسبب هذا الصراع إلى أصناف متمايزة وفئات متناحرة فمنهم المتزعمون لهذه الحركة عن خبث ومكر وإعجاب شديد بالغرب الكافر، وصنف من الراغبين للتجديد لإرواء غرائزهم وشهواتهم وهذا إنما يوفر لهم تيار التجديد الذي وفد معه العري، والمراقص المختلطة والمسارح ودور البغاء والعهر والفجور والسكر والأنظمة والقوانين التي تبيح ذلك كله وتشجعه.

ومقابل هؤلاء وأولئك دعاة المحافظة والالتزام وهم على ثلاثة أصناف؛ فالأولى الفئة التي تدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية الأصيلة، والثانية فئة تدعو إلى المحافظة على الحياة المألوفة فحسب بما فيها من عادات وتقاليد وانحرافات، والثالثة وهم من عوام الناس فهم يحبون الدين بالفطرة ويألفون التقاليد والعادات التي توارثوها ويحبون المحافظة على الأخلاق والشرف فكانوا أول الأمر هم الرصيد الضخم لدعاة المحافظة أي دعاة القديم حتى تنبه لهم أصحاب الأهواء والزعامات فاستغلوهم من هذه الناحية فلبسوا لهم مسوح الرهبان وطلوا دعواتهم الشيطانية بطلاء الدين فتحولوا مع الناعقين واجتالتهم الشياطين ثم تحولت هذه الفئة إلى رصيد أساسي لأصحاب الأهواء والزعامات وستظل على هذا النحو إلى تلقى التوجيه المخلص والقدوة الصالحة والجهد المركز للعودة إلى الخير (محمد قطب، 2012؛ ومالك بن نبي، 2002).

ثالثاً: الحرية والتجرد

مما لاشك فيه أن الحرية هي ما يبحث عنه الكثير من الناس خاصة في هذه الأيام، وهي في نفس الوقت منصة الشيطان التي نصبها له أولياؤه في الداخل والخارج فصارت الحرية باباً لكل شر وفساد وكفر ورذيلة، ثم تبلورت في أذهان وأفكار الأجيال الناشئة في البلاد الإسلامية وتشبع بها الشباب فهي ذريعتهم في كل تصرفاتهم وانحرافاتهم ونزواتهم، ولقد وفدت هذه البلبلة مع حركة التجديد والتنور أو التغريب الأصح، تقليداً أعمى وأصم للغرب الكافر الذي بهذه الحركة وباسم الحرية أطلق عنان الشهوات والنزوات والفساد والجرائم وهتك الشرف وإباحة الزنى واللواط وأنواع الشذوذ الجنسي وانتهكت الحرمات والأموال والأعراض كل ذلك قد يحدث باسم الحرية (غالب عواجي، 2007).

إن أعداء الإسلام قد استطاعت أن تنفخ هذه الفكرة أي الحرية في أذهان الشباب المسلم بعد أن انقطعت صلته بالتربية الإسلامية لتكون قنبلة التحطم النفسي والفكري والعقائدي لا سيما بعد فشل الوسائل العسكرية فعل الكفار وأذنابهم في الداخل ذلك بمكر ودهاء وتخطيط فانفجرت القنابل وأدت دور التحطيم، فتيارات الردة عن الإسلام تتوالى دون توقف يحدث ذلك باسم الحرية وانتهاك الحرمات والأعراض تتوالى باسم الحرية وترك فروض الإسلام باسم الحرية وترتكب الرزائل والفواحش باسم الحرية، والدول تفتح أبوابها لكل شيء وتدع الناس يفعلون ما يشاؤون في إرواء غرائزهم وشهواتهم باسم الحرية، وتعطل حدود الله وتبطل شريعته باسم الحرية، وأما فكرة التجرد فقد ظهرت في طبقات الباحثين والمفكرين ونحوهم بتأثير من المستشرقين والمفكرين الكفار حيث قالوا إنه يجب على الكاتب عندما يكتب والباحث عندما يبحث عن أي شيء من تاريخه وأدبه وتراث أمته أن يتجرد من دينه وعاطفته فلا مجال للدين هنا، أما أفكار أساتذته الكفار وأهوائهم فلا بأس أن تتقيد بها لأنها جاءت من هناك من الغرب من الجهة المعصومة عن الخطأ، فظهرت مؤلفات وبحوثات كثيرة عن تاريخ الإسلام وتراثه وأبطاله وأدبه لا تمت إلى الإسلام بصلة بل شوهته، فكتبت كل شيء عن الإسلام من وجهة نظر غربية كافرة فهم يفعلون ذلك باسم التجرد ولا يذكرون اسم الله باسم التجرد بينما هم يسبحون باسم الغرب في كل كتاباتهم فصار التجرد يعني عند هؤلاء تصديق واتباع كل رأي ومذهب وفكر ونقد إلا الإسلام (مصطفى باحو، 2012).

رابعاً: هبوط من الناحية الفكرية

لقد أصيب الفكر الإسلامي بالفراغ الفكري نتيجة بعد المسلمين عن حقيقة الإسلام وقد اضمحل ذلك الفكر من جراء ذلك الإبتعاد، ولما أصيبوا بذلك المرض وهو التأثر بالكفار وتقليدهم بتقاليد جاهلية ضالة بكل أنواعها، وأصبح العالم الإسلامي مكاناً للأفكار الفاسدة المستوردة من الغرب خاصة، فقد فقدت الأمة الإسلامية أصالتها الفكرية المبدعة البناءة وأخذت تستورد الأفكار من الخارج كما تستورد المصنوعات الجاهزة والكماليات، فأصيبت بالشلل الفكري القاتل (محمد قطب، 2012).

ولم يدرك العالم الإسلامي هذا الخطر الجسيم الذي يصيبهم نتيجة للتأثر بالأفكار الغربية وتقليدها واستيرادها من الكفار وإن ذلك أشد إثماً من الوقوع في أسرار الركود الفكري، فإن الركود الفكري لا بد أن تعقبه انتفاضة لأن الأمة الإسلامية في مراحل صراعها لا يمكن أن تيقى طويلاً تدور في فلك العالم الغربي الكافر، حتى يكتب الله لها الرجوع إلى الإسلام (محمد هلال، 2000).

ولكن في الحقيقة إن الوقت الذي يكون فيه الألم أشد والحسرة أكبر هو عندما نحاول إحياء العالم الثقافي المشحون والمتأثر بالأفكار الميتة بالاستعانة بأفكار قاتلة مقتبسة من حضارة أخرى فهذه الأفكار قاتلة وهي في موطنها الأصلي تصبح أشد قدرة على القتل عندما تنسلخ من هذا المحيط.

أما من الناحية النفسية فإنها تحطم نفسية الإنسان المسلم، ونرى ذلك لما تعانيه الأمة الإسلامية الآن من آثار التحطيم النفسي عندما وقت في بحر الأفكار الغربية وغرقت فيها (مالك بن نبي، 2002).

فالشعور بالنقص والاستصغار أمام أصحاب الحضارة الغربية الجاهلية سائد في أنحاء العالم الإسلامي على مستوى الفرد والدولة، ونتج عن ذلك الثقة بالكفار والشعور بالحاجة إليهم، واحتقار الذات، بل وإنكار الذات والتغاضي عن عيوب الكفار لاستشعار كما لهم وعظمتهم وإحاطتهم بهالة رهيبة مما جعل المنهزمين من أبناء المسلمين يدينون لهم بالولاء في كل شيء.

إن الانبهار والانهزامية أمام التقدم الصناعي الهائل الذي جاءت به الحضارة الغربية الجاهلية مما جعل النفوس الضعيفة تقف محتارة ومندهشة أمام هذا الانفتاح العلمي الشامخ والهائل وتنسى كل قيمها وحضارتها ودينها ومقوماتها لتقع بعد ذلك وتغرق في بحر الهزيمة الداخلية التي حين وقع بها المسلمون نسوا أنهم بشر مثل الغرب وأنهم يملكون من القدرات والمواهب مثل ما يملك هؤلاء أو أولئك بل أكثر، وأكثر من هذا نسي المسلمون أنهم هم واضعوا أسس العلم التجريبي والعمراني المدني والتقدم الصناعي، نسوا أنهم هم أساس التقدم والحضارة.

وقد نتج عن هذه الإنهزامية فقدان الشعور بالمسئولية تجاه الإسلام والأمة والمجتمع الذي يعيش فيه الفرد المسلم وهذه الانهزامية هي نتيجة طبيعية لكل فرد أومجتمع واقعة تحت تأثير الأفكار المستوردة الهدامة من الخارج (مالك بن نبي، 2002).

وعندما يحدث هذا فإن المسلمين قد جنوا على الإسلام جناية عظيمة لأنهم وقفوا منه وبه موقفاً سلبياً وانهزامياً في كل شيء فتمثل الإسلام بمواقفهم وكأنه في حلبة الصراع العالمي يقف موقف المسالم الراضي أو المتفرج الذي لا يهمه فساد العالم ودماره، بل المسلمون في مواقفهم العالمية لا يمثلون الإسلام أبداً، ومهما كان فلا ننسى الجهود الإسلامية التي تبذلها الحركات والجماعات الإسلامية المخلصة مع أكثر البلاد الإسلامية ولو لا الهجوم الشرس والوحشية التي تنهال لها من المنهزمين في الداخل والتحريض والإثارة التي تبذلها ضدها من الخارج لكان لها وللعالم شأن آخر.

الخاتمة ونتائج البحث

ففي هذا البحث قام الباحث باستقراء ما قاله أصحاب المذاهب الفكرية الغربية حول رغبتهم وجهدهم نحو هدم الإسلام والمسلمين وتحليل هذه الأقوال ثم سرد وإعطاء مظاهر ودلالات تدل على خططهم نحو ذلك، ومن هذه المظاهر والدلالات التي استنتجها الباحث من أقوال أصحاب المذاهب بأنفسهم، تضعيف عقيدة الولاء والبراء وانفصام بين العقيدة والأخلاق، فالمسلم أصبح لا يدري من هو بالضبط فمثلاً نجده في النهار يؤدي واجباته كعبد من عباد الله على أكمل وجه من ناحية الصلاة وغيرها ولكنه مع حلول الظلام نجده يكون فريسة لشهواته وغارقاً في المعاصي والنزوات.

وبعد العقيدة هناك جهود لأجل فساد الأخلاق والسلوك وذلك بنشر الرذائل والفساد من خمر وزنا والربا والغش والكذب بجعل المسلمين منبهرين بالحضارة الغربية، ثم أعطى الباحث نماذج للفساد التي سعوا إليها منها الجرائم الجنسية والتبرج والبعد عن الحجاب والشذوذ الجنسية، والمطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة وفصل الدين عن السياسة، والاختلاط بين الرجال والنساء، ثم أعطى أثر هذه المذاهب على الكيان الإسلامي منها الانفكاك في القوامة الأسرية، والتشكيك في الدين، والدعوة إلى الحرية والتجرد، فلا بد من التسليم للحقيقة المؤلمة وهي أن لهذه المذاهب الفكرية الدور الأكبر في قيامها، وأصبحت تطبيق الشريعة بعيدة المنال، لم يعد باستطاعتهم تطبيق الشريعة الإسلامية، كما كانوا يطبقونه في الماضي معللين بأعذار متكلفة وهي أن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا الزمان وأنه يصعب تطبيقها في عصر الحريات والديمقراطيات عصر القوانين الوضعية الناتجة من عقول البشرية حيث ذهب هؤلاء المشرعون من دون الله إلى ما يحول بين الناس وبين دخولهم منتهى السعادة واتصافهم بالتحضر وروح العصر إلا بنبذ أحكام الإسلام وأخذ الجديد البديل، فهذا البديل هو الدساتير المتنوعة هي من صنع البشر قد قدمت على أنها البديل المناسب لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قدم إلى المسلمين على أنها حرية، وهي في الحقيقة العري الفاضح، وانتشار الجريمة الأخلاقية والتكالب على جمع المال وحرمان الفقراء إنه الرأسمالي الذي يحقق التنافس ونعش الاقتصاد ومن خلفها دعايات وأهداف لسلب اتزان العقول وسلب تفكيرها في مقدمتها عبارات التفلت والانحلال.

إن حال الغرب وما وصلوا إليه من الحالة، انتشار الجرائم والقتل وسفك الدماء وانتشار السرقات والزنا والفواحش وأصبحوا في عداد البهائم وانتشار قطيعة الأرحام والتفكك الأسري وانتشار الظلم والاستبداد وعبادة الناس، فكيف بالمسلمين أن يتأثر بهم وحالتهم هكذا، حالهم هذا يدعوإلى العجب والأعجب هو أولئك الذين يدعون للانتساب إليهم والدخول تحت أنظمة الجاهلية والمذاهب الفكرية فالعاقل من اتعظ بغيره، إن من أسباب الانهيار الحاصل في الدول الإسلامية دينياً وخلقياً واجتماعياً إنما هو بسبب المذاهب الهدامة الشريرة عندما غطت عقول المسلمين الغافلين عن قول الله تعالى في سورة هود 113: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ). إذا فالشريعة الإسلامية ترفض كل الرفض

لهذه المذاهب الفكرية لما لها من مساوئ متعددة وسلبيات كثيرة أكثر من إيجابيات لا سيما وأنها مؤدية إلى الكفر.

BIBLIOGRAHPHY

ᶜAbd al-Halim ᶜAliyy. 2005. *Al-Ghazw al-Fikriyy Wa al-Tayyarat al-Muᶜadiyah Li al-Islam*. Riyadh: Jamiᶜat al-Imam Muhammad bin Saᶜud al-Islamiyyah.

Bustanuddin Agus. 2011. *Islam and Globalisasi*. Johor: Jahabera.

Carl Backer. 1948. *Al-Sabil Ila ᶜAlam Afdal*. Translated by ᶜAbd al-ᶜAziz Ismaᶜil. Cairo: Dar al-Shuruq.

Al-Hawaliyy, Safar ᶜAbd al-Rahman. 2011. *Sharh Tahkim al-Qawanin*. Jeddah: Maktabah Dar al-Sahabah.

Hilal, Muhammad Hilal al-Sadiq. 2000. *Athar al-Ghazw al-Fikriyy ᶜAla al-Usrat al-Muslimah Wa Kayfiyyat Muqawamatiha*. Cairo: Jamiᶜat al-Azhar.

ᶜIwajiyy, Ghalib. 2006. *Al-Madhahib al-Fikriyyah Wa Dawruha Fi al-Mujtamᶜat Wa Mawqif al-Muslim Minha*. Jeddah: al-Maktabat al-ᶜAsriyyah al-Dhahabiyyah.

Jalal ᶜAlim. 2009. *Qadat al-Gharb Yaqulun Dammiru al-Islam*. Beirut: Dar al-Maᶜrifah.

Marsden Victor. 2012. *Brutukulat Hukama' Sahyuniyyah*. Cairo: Mu'assasat al-Hurriyyah.

Fathiyy Yakan. 1995. Al-Islam Wa al-Jins. Beirut: Dar al-Bashar.

Malik bin Nabiyy. 2002. *Mushkilat al-Afkar Fi al-ᶜAlam al-Islamiyy*. Beirut: Dar al-Fikr al-Muᶜasir.

Muhammad Qutb. 1997. *Waqiᶜuna al-Muᶜasir*. Cairo: Dar al-Shuruq.

Mustafa Bahu. 2012. *Al-ᶜIlmaniyyun al-ᶜArab Wa Mawqifuhum Min al-Islam*. Cairo: al-Maktabat al-Islamiyyah.

Al-Sayih, Ahmad ᶜAbd al-Rahim. 2010. *Fi Al-Ghazw al-Fikriyy*. Cairo: Dar al-Shuruq.

Al-Sibaᶜiyy, Mustafa. 1998. *Al-Mar'ah Bayna al-Fiqh Wa al-Qanun*. Cairo: Dar al-Salam.

Stafer Yanus. 2000. *Al-Tasadduᶜ al-ᶜAlamiyy (al-ᶜAlam al-Thalith Yashubbu ᶜAn al-Tawq)*. Translated by Musa al-Zaᶜbiyy. Syria: Dar Halas.